انفتاح الدلالــة القرآنيـــة
ـ مقاربة فكرية في التفسير الموضوعي والخطاب الحضاري ـ

د. محمد جعفر محيسن
كلية الاداب / جامعة القادسية

الخلاصة :

لما كان التفسير الموضوعي يقوم على أساس من محاولة استكشاف النظرية القرآنية في المجالات العقيدية ، و الفكرية ، و الثقافية ، و التشريعية ، و السلوكية٠٠٠من خلال عرضها مجتمعة في مواضعها المتعددة من القرآن الكريم؛ و من ثم جعل العملية التفسيرية طريقا الى الواقع – أي واقع – مع الايمان بضرورة استظهار الحقائق المعرفية للألفاظ . كان علىالبحث ان يحاول خلق مقاربة فكرية لهذا الموقف التفسيري على نحو يصل بنا الى أثره الاصلاحي و (التطهيري) ، و انتاج خطاب العقل و خطاب الروح على نحو متوازن يحفظ آفاق العلاقة بين المتطلبات المادية و المتطلبات المعنوية في التعامل مع اركان الوجود و عناصر الحياة ، و طريقة العيش ، و التفكير ، و العلاقات ، و النظر الى مكونات المنظومة الاجتماعية بعين الروح و العقل بعيدا عن حدود المادة؛ مما يترك انعكاسا ايجابيا على واقع العصر و ارادة التغيير. فتكون للتفسير الموضوعي مهمته الكبرى في كل مرحلة في ان يحمل تراث البشرية الذي عاشه، يحمله كله ليضعه بين يدي القرآن الكريم ؛ طالبا الحلول و التصحيح للمسيرة الانسانية.

تختلف الدراسات التفسيرية في تعاملها مع النص القرآني عبر العصور ، فمن المفسرين من اتجه إلى العناية بالجوانب اللفظية في النص القرآني الكريم ، و منهم من يؤكد الجانب التشريعي و الفقهي عبر الآيات القرآنية الشريفة ، و آخرون اتجهوا إلى الجانب العقيدي ، او الجانب الاخلاقي ، او الجانب العقلي ، او الجانب العرفاني٠٠٠٠

وعلى الرغم من الاختلاف في طبيعة التعامل و اهدافه فإنَّ المفسرين اعتادوا أن ينتهجوا في البحث طريقة تفسير الآيات الكريمات بحسب تسلسل عرضها في القرآن الكريم٠٠٠

وبعيدا عن التفسير الترتيبي او التجزيئي أخذت بوادر منهج (جديد) تنمو في التفسير او البحث القرآني يقوم على أساس من محاولة استكشاف النظرية القرآنية في المجالات العقيدية ، والفكرية ، والثقافية ، و التشريعية ، و السلوكية٠٠٠من خلال عرضها مجتمعة في مواضعها المتعددة من القرآن الكريم [١] .

ومثلما اختلفت الدراسات التفسيرية تظل محاولات عصرنة قراءة القرآن الكريم تتخذ طرقا متعددة، فمن مظاهرها ان نزع المفكرون منازع اجتماعية، و علمية في التفسير. و منهم من نحا منحى تجديديا يعتمد اللغة، و آفاق التأويل، و الاشارة٠٠٠٠

ولعل اظهر ما يحقق قرأنة العصر هو ما يؤمن ((التفاعل ما بين الواقع والنص)) [٢] في تجاوز واضح للتجديد اللغوي ، او العقلي من خلال ((الانفتاح على الواقع المعاش و ادخاله في متن المهمة التفسيرية)) [٣] ، و الوقوف على ((الحقائق الكامنة وراء الألفاظ)) [٤] . و هكذا ((يلتحم القرآن مع الواقع، يلتحم القرآن مع الحياة، لأن التفسير يبدأ من الواقع و ينتهي الى القرآن)) [٥] ؛ فتكون للتفسير الموضوعي مهمته الكبرى في كل مرحلة في ان يحمل تراث البشرية الذي عاشه، يحمله كله ليضعه بين يدي القرآن الكريم [٦] ؛ طالبا الحلول و التصحيح للمسيرة الانسانية.

وفي جعل العملية التفسيرية طريقا الى الواقع – أي واقع – مع الايمان بضرورة استظهار الحقائق المعرفية للألفاظ نكون امام طرفين يتكاملان على طريق صوغ المعاصرة القرآنية صوغا

معرفيا يكون الانسان فيه الوسيلة و الهدف، في ارادة كبرى نحو دفعه الى مدارج الكمال و التطلع الى التربية الروحية و الفكرية و الاخلاقية بحسبان الاعتقاد والعمل صعودا او عودا الى الله تعالى مصدر الكمال.

وهذا الموقف التفسيري يُتوخى أثره الاصلاحي و (التطهيري) ، و انتاج خطاب العقل و خطاب الروح على نحو متوازن يحفظ آفاق العلاقة بين المتطلبات المادية والمتطلبات المعنوية في التعامل مع اركان الوجود و عناصر الحياة ، و طريقة العيش ، والتفكير ، والعلاقات ، والنظر الى مكونات المنظومة الاجتماعية بعين الروح والعقل بعيدا عن حدود المادة؛ مما يترك انعكاسا ايجابيا على واقع العصر و ارادة التغيير.

في التفكير الموضوعي والتجربة البشرية على ضوء الاستعمال القرآني :

التفسير المجالي[٧] أو التفسير التوحيدي [٨] مما يستعمل مصطلحا ينوب عن التفسير الموضوعي الذي ((يقوم على أساس دراسة موضوعات معينة تعرَّض لها القرآن الكريم في مواضع متعددة او في موضع واحد ، و ذلك من اجل تحديد النظرية القرآنية بملامحها وحدودها في الموضع المعين)) [٩] . فإنَّ منهج **التفسير المجالي /التوحيدي** يجعل – وحده – المفسر ((يستخرج المفهوم القرآني الذي يمكن أن يحدد موقف الاسلام تجاه هذه التجربة او المقولة الفكرية التي ادخلها في سياق بحثه)) [١٠]. مع الايمان بالتعامل الحركي مع اجواء الخطاب القرآني بوصفه خطابا حضاريا لا تنتهي فيوضاته؛ ذلك ((أن القرآن لا يفهمه الا الحركيون الذين عاشوا معنى الحركية الاسلامية في حيوية الاسلام في انطلاقه مع الانسان و مع العالم. و الانسان الحركي يفهم الاسلام بغير ما يفهمه اللغوي او عالم النفس او عالم الاجتماع. و لذلك لا يمكن أن نفهم القرآن ككتاب له معنى لغوي فحسب)) [١١]، فليس يبعد ان تكون كل كلمة، او واقعة، او حدث، او فكرة تظهر في تفاصيل الحياة حافزا و طريقا لتجلي معنى جديد للنص القرآني [١٢]، و كأن هذا يجري مجرى المعنى و المغزى، بحسبان أنَّ النص يتوافر على دلالة محددة هي المعنى الذي يكون ذا طابع تأريخي، على حين يمتلئ النص نفسه بدلالات مفتوحة تكون محصلة لقراءات عصرية، و تأتي على نحو من المغزى الذي يتلو عصر النص [١٣]. و مثل هذا مرتبط بانفتاح الدلالة القرآنية، اذ انها مأخوذة بآفاق ذاتية اكثر من كونها محكومة باطر عرفية ومركزية. و ليس يخفى أنَّ المعنى بشكل عام محكوم بسلطة النص بعدِّها سياقا ثقافيا متجددا؛ فينبغي التعامل معه على اساس من انه يبدأ من النص و ينتهي بالمحل القادر على تذوق امكانات اللغة من خلال التحرك بين بعدي العدول و الاختيار، مع لحاظ ما بين النص و المتذوق من مسافة معرفية مملوءة بحشد من المغزى؛ و من ثم ليس يجدي النظر الى المعنى بسابقية عليه، تتمثل بالمعجم؛ اذ ان المعجم تأريخ للمعنى، على حين يكون النص و الاستعمال حقيقة المعنى و حركيته التي لا تقف.

ويتصل انفتاح الدلالة القرآنية بفهم القرآن الكريم ((من خلال حركة الحياة)) [١٤]، اعتمادا على الاستنطاق، و الاستيحاء، أي التطبيق القرآني؛ ذلك انه الطريقة المثلى في التفسير، و هي – وحدها – تكون محاولة و ((استجابة فعالة و توظيفا هادفا للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى)) [١٥] على سبيل ما يُنتهى اليه من فوائد اخلاقية و عرفانية تفيض بها آيات القرآن الكريم بعيدا عن حدود التفسير [١٦] ؛ فان التعامل مع مدلول الآية يكون من جوانب متعددة لفكرة المدلول الذي تعطيه، وصولا الى أنها تتكامل في الخط الواحد الذي تتنوع آفاقه و جوانبه، فقد يكون للمسألة الواحدة جانب يتصل بالاخلاق، و جانب يتصل بالاجتماع، و جانب يتصل بفكرة سياسية [١٧] ما. فليس تبتعد معالجة النصوص القرآنية عن كونها ((معالجة تقوم اولا و قبل كل شيء على اظهار مواضع الدقة في التعبير القرآني، ثم بعد ذلك تصاغ تلك المعاني التي يهدف القرآن اليها في اسلوب اخَّاذ، ثم يطبق النص القرآني على ما في الكون و الحياة)) [١٨]، في الطريق الى تطبيقات ذلك من مثل سنن الكون

والاجتماع ، والافادة من هذا في وضع معالجات ناجعة لمشكلات الامة بخاصة والانسانية بعامة[١٩] . وتبقى المحاولة في العظة والتصحيح والارتقاء.

وهذا ما نجده في اختيارات موضوعية منها[٢٠]:

- القصص القرآني .
- فواتح السور .
-خلافة الانسان .
-عداوة الشيطان.

ليس يخفى أنَّه ((قد سلك القرآن الكريم لتبيان هذه الموضوعات منهجا فريدا يكاد يتميز عن سائر مناهج الكتب الدينية الاخرى حيث نرى أنَّه لا يكاد تمر سورة من القرآن الكريم او جزء منه الا و قد تناول الكثير من هذه الموضوعات باسلوب غاية في التناسق والربط والانسجام)) [٢١] ؛ رغبة في ترسيخ المفاهيم التربوية والعقائدية التي تناولتها ، فينبغي الا نغادر فهما في هذا السياق هو ((ان العقيدة الاسلامية يجب ان تتمثَّل في نفوس حية و في تنظيم واقعي، و في تجمع عضوي، و في حركة تتفاعل مع الجاهلية من حولها، كما تتفاعل مع الجاهلية الراسبة في نفوس اصحابها، بوصفهم كانوا من اهل الجاهلية قبل أن تدخل العقيدة الى نفوسهم و تنتزعها من الوسط الجاهلي)) [٢٢]. و بعد فعلى التصور الاعتقادي ((أن يتمثَّل من فوره في تجمع حركي، و أن يكون التجمع الحركي، في الوقت (نفسه)، تمثيلا صحيحا و ترجمة للتصور الاعتقادي)) [٢٣]، ما يكوَّن محاولة في تمثل ابعاده الفكرية و آثاره في مسيرة الحياة و الانسان و مسيرته الشائقة في مدارج الكمال ، مستفيدا من العبر ومتخذا الاولين اسوة في الخير و الاصلاح . فيمكن الانتهاء إلى أنَّه يمكن الجعل من تلك الملاحظ مقدمات للخطاب النهضوي يتحرك على ضوء منها في مشروعه الكفاحي و دعواته الى التغيير على مستوى الواقع الاجتماعي والساحة السياسية فيسير في ذلك كله مسيرة مترابطة مشدودة الاطراف إلى اجزائها كلها .

آفاق التغيير وادواته الفكرية ـ في ضعف القوة وقوة الضعف ـ

لاشكَّ أنَّ القصة تأتي في السياق القرآني لتحقيق العظة والاعتبار و تمثُّل الدرس الاجتماعي والاخلاقي لما كان مع الاولين في سلوكهم ومواقفهم على مستوى الحياة والتفكير والعقيدة ؛ ومن ثم يكون ذلك في صدر اعتبار من يتصدى لدرس القصة القرآنية ، إذ يحاول استخلاص ما يستطيع من دروس و عبر ٠٠٠. و قريب من هذا ما يحاول الدارس فعله عند الكلام على فواتح السور٠٠٠

يكون الكلام في ((القصص القرآني)) على :

١- اغراض القصة القرآنية.
٢- ظاهرة التكرار في القصة القرآنية .
٣- ظاهرة التركيز على انبياء دون غيرهم .

ففي قصة موسى (عليه السلام) مثلا وتأملها من حيث البعد الأدبي و التصويري ، و البعد التأريخي ، و البعد المفهومي العام ، و يعنينا خلال البحث ما يضمن الموقف المتميز للسياق القرآني و عرضه القصة ، وكيف تكون قرأتها لانتاج خطاب معرفي مرحلي؟ و وصله بالحالة الفكرية و الموقف الريادي لقادة التغيير ؛ و ذلك تناول القصة من خلال :

١- التنبيه على اسرار تكرار القصة الواحدة في القرآن الكريم.
٢- التنبيه على اسرار تغاير الاسلوب في القصة القرآنية بحسب مواضعها.

و من ذلك ما جاء في سورة الزخرف. يقول تعالى: ((ولقد ارسلنا موسى باياتنا إلى فِرعونَ ومَلائِهِ فقالَ إنّي رسولُ ربِّ العالمين * فلمَّا جآءهم باياتنآ إذا هم منها يضحكونَ * وما نُريهم من ايةٍ الا هي اكبُر من اُختها واخذناهُم بالعذابِ لعلَّهم يَرجِعون * وقالوا يآايُّهَ الساحرُ ادعُ لنا ربَّك بما عَهدَ عندكَ

إنَّنا لمُهتدونَ * فلمَّا كشفنا عنهُمُ العذابَ إذا هم ينكُثُونَ * ونادى فِرعونَ في قومَهِ قال ياقومِ اليسَ لي مُلكُ مِصرَ وهذهِ الانهارُ تجري من تحتي افلا تُبصرون * أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مَهينٌ ولايَكادُ يُبينُ * فلولآ أُلقِيَ عليه اَسورةٌ من ذهبٍ او جآءَ معهُ الملئكَةٌ مُقتَرِنيَن * فاستخفَّ قومَهُ فاطاعُوهُ إنَّهم كانوا قوماً فاسِقيَن)) [٢٤] . و في التحليل التكاملي للخاصة القصصية القرآنية هذه نجد ((انَّ المقطع القرآني من القصة ، جاء في سياق الحديث عن شبهة أثارها الكفار في وجه الدعوة وقالوا : ((لولا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجُلٍ مِنَ القريتين عظيمٍ)) [٢٥] .

وقد ناقش القرآن الكريم هذه الشبهة من ناحيتين ، الاولى : إنَّ الرزق و المال ليس عطاء بشريا ، او نتيجة للجهد الشخصي و الذكاء والعبقرية ، و الفضل فحسب ، بل هو عطاء الهي له غاية اجتماعية تنظيمية... الثانية : إنَّ هذا العطاء الالهي المادي ليس مرتبطا بالفضل و الامتياز عند الله والقربى لديه كما هو شأن العطاء البشري ومقاييسه ، بل قد يكون العكس هو الصحيح ...

ومن هذه الملاحظة نستنتج أنَّ هذا المقطع جاء ليضرب مثلا واقعيا تجاه هذه الحقيقة والفكرة التي عاشتها الانسانية ، و هذا المثل هو موقف فرعون من دعوة موسى (عليه السلام) حيث نزلت الرسالة على شخص فقير مطارد ويتعرض قومه إلى الاضطهاد مع إنَّ فرعون هو صاحب الثروة و الغنى . و الذي يؤكد هذا الاستنتاج أنَّ المقطع يتبنى اظهار جانب ما يتمتع به فرعون من ثروة و ملك غني ، في قبال موسى (عليه السلام) الذي هو مهين - على حد تعبير فرعون - و ليس في المواضع الاخرى من القرآن ما يشبه هذا الموقف من فرعون . فالتكرار فرضه السياق القرآني إلى جانب تحقيق الغرض الديني)) [٢٦] .

وتظل ((قيمة التأريخ القرآني (قصص الانبياء) تتمثل فيما يقدمه لنا من نماذج حية متحركة لا تتجمد في زوايا التأريخ، بل تظل تحمل للحاضر و المستقبل الغنى و الامتداد فيما يواجهه الانسان في مراحل تطوره من مظاهر الانحراف و الاستقامة، والكفر والايمان . وتلك هي مهمة القاريء للقرآن و الدارس له، أن لا يظل يدور حول الصورة القرآنية للانسان في خطوات التأريخ، بل يحاول أن يرصد من خلالها الصور القادمة في حركة المستقبل ليعطي الحياة للآية في وعيه و في وعي الآخرين)) [٢٧] ؛ و من ثم يكون اكتشاف الذات والحياة على مستوى الواقع و الطموح، بعد أن نحرز لانفسنا طاقاتها و الادوات التي تصَّاعد بها.

وفي **((فواتح السور))** لا يقف الكلام عند ما أثير ازاء هذا الموضوع من مشكلات وشبهات ، فضلا عن معالجته التفسيرية في سياقات القرآن الكريم.

في هذه الحروف اقوال متعددة ، فهي حروف ترمز إلى اسماء الله سبحانه ، او أنَّها اسماء للقرآن الكريم ، او أنَّها اسماء للسور التي جاءت فيها، او أنَّها علامات تدل على بداية السورة ، او أنَّها الحروف الهجائية ، او أنَّها اصوات جاءت ليفتح بها القرآن الكريم اسماع المشركين الذين تواصوا بعدم الانصات [٢٨] .

وتُناقش هذه الاقوال على نحو الطروحات و الشبهات ؛ فيُخلص إلى أنَّها إذا لم تكن من قبيل المتشابه ، فإنَّها اسماء للحروف يعرفها العرب فكانوا يتعاملون معها على ضوء من ترابطها مع قضية التحدي القرآني . و قد تكون هذه الحروف مما يستعمل للتنبيه والفات النظر[٢٩] .

ويبدو أنَّ ما يقترب بالكلام على **(الحروف المقطعة)** من النظر الفكري أنَّها تقابل اتصال الفكرة القرآنية في الوجود بين التفكيك / **(الانسان – الحواس)** والتشكيل / **(الانسان – العقل)** و الانتهاء من ذلك كله إلى مواقف فكرية كبرى تقود إلى التعامل التغييري الروحي مع ما يكون خلال المسيرة الحياتية في سعي حثيث نحو آفاق الكمالات.

حقيق ان من اهم ركائز الخطاب التغييري الحضاري:

١. أن نتمثَّل المستقبل و نحركه عبر الوجود الذهني؛ فننتهي الى أنَّ التأريخ يتحرك حركة هادفة غائية متطلعة الى المستقبل.

٢.رسم حركة التغيير و النهوض في مسارين اثنين غير منفصلين: هما المسار الداخلي او النفسي للانسان و الامة، و المسار الخارجي او الثقافي؛ و صولا الى التغيير في البناء العلوي للحركة التأريخية كلها، انطلاقا من المثل الاعلى للجماعة البشرية [٣٠]، الذي تتطلع اليه وحده هذه الجماعة، و يدعوها دائما الى الصعود اليه.

ولعل من أهم ما يستخلص من خطاب الحروف المقطعة موقفها من فكرة (الكمال) ، إذ تشد هذه الفكرة ارتباط الانسان مع عالم الأشياء ، وممارسة الانتماء اليها من خلال الفتها اولاً و رعايتها ثانيا ؛ ذلك بأنَّه يصل إلى النموذج الثابت [٣١] ويبتعد نوعا ما عن النماذج المتغيرة التي تكون سببا في أن ينقص طول ارتباط الفرد مع عالم الأشياء ؛ فينشأ من الفة النموذج الثابت التعقل و آفاق المعرفة الروحية.

وممارسة الانتماء والنماذج الثابتة التي تنزع منزعا معنوعيا مما يمكن مقاربته إلى ما تحتاجه مرحلة العراق الجديد على مستوى السياسة و المشروع الثقافي النهضوي ، مع تأكيد مسألة الدمج بينهما او اخذ المشروع الثقافي بلحاظ الاعتبار عند ممارسة السياسة وصولا إلى خلق الترابط والتماسك بين البنية السياسية والبنية الاجتماعية على نحو يقود إلى الاستقرار و الاقتراب إلى عتبة التحول نحو نظام معرفي(سياسي / ثقافي) جديد يحتفل كل الاحتفال بآفاق عالم الروح وتقديم ما هو معنوي على ما هو مادي عند تدافعها على عتبة اختيار موقف اللحظة او موقف المصير ؛ و من ثم يمكن صياغة موقفه من الاشكاليات التي تحفل بها المرحلة فيتخذ طريقه بين الدين و علمنة الدولة ، و الحرية وسلطة التقاليد والقيم ، والاعراق وقبول الآخر والتعدد ، والعولمة والخصوصية التي ينبغي أن تكون لكل شعب و لا سيما أنَّه يمتلك من مقومات الخصوصية والنموذج كلها.

التطهير والاعجاز الآفاقي والانفسي- توحيدية المنهج وفضاءات التجربة البشرية-

ما يمكن أن يضاف موقفا تفسيريا أنَّ المنهج المجالي او التوحيدي يفتح طريقا واسعة إلى الكلام على الاعجاز والخاصة القرآنية ؛ ذلك بأنَّه يجعل المفسر يبدأ في البحث من **(الموضوع)** الذي هو **(الواقع الخارجي)** و من ثم يعود إلى القرآن الكريم لمعرفة الموقف تجاه الموضوع الخارجي [٣٢] ؛ فينتهي إلى صياغة الموقف او الموضوع صوغا قرآنيا ، فنكون بازاء آثار القرآن الكريم التربوية ، و النفسية ، و الاجتماعية ، و الاخلاقية ... فيظهر مظهر من مظاهر الاعجاز و قد تجسد بحالة **(التطهير)** التي يبعثها السياق القرآني بعبارته وايحائه الدلالي ، و ما يتمتع به من سلطة ادائية واسعة ما كانت لتأخذ اثرها الاقوى لولا النظرة التوحيدية التي يقدمها المنهج الموضوعي في التفسير ؛ ما يضمن تأثيرا كبيرا و تواصلا دلاليا موحدا يشد الدارس و المتأمل.

و يمكن أن نلحظ هذا في تناول ((استخلاف آدم (عليه السلام))) بحسب موضوعاته الفرعية من : مفهوم الخلافة ، و الحكمة من الاستخلاف ، و توقع الملائكة افساد الخليفة في الارض ، إلى السجود ، فخطيئة آدم (عليه السلام) ... فبعد التناول التفصيلي نصير إلى ما يمكن تسميته بـ **((التطهير الاعجازي التوحيدي))** إذ إنَّ السيرة الموضوعية لسياقات الاستخلاف الآدمي تقود إلى ((أنَّ الكمالات الانسانية يمكن أن نتصورها بدون خطيئة ، و يتكامل فيها الانسان من خلال الطاعة و الاحساس بالعبودية لله سبحانه وتعالى ، الا إذا كان مقصوده من الخطيئة ليس مجرد المخالفة ، و إنَّما احساس الانسان بالحاجة والتقصير في حق الله تعالى و شكره لنعمه ، الامر الذي يدفعه إلى الاستزادة من الاعمال الصالحة و الرجوع إلى الله تعالى و الانابة إليه)) [٣٣]. فالخليفة يختاره الله العليم من بين ((الذين يتكامل وجودهم الامثل بملكة الاختيار نظريا ، و هؤلاء مع امكانيتهم على المعصية و الخطأ لا يخطئون ، لأنهم يتوصلون إلى قبحه بالفطرة و الهداية الالهية من دون الحاجة إلى التجربة ، و لا نعتقد أنَّهم يختلفون عن غيرهم من حيث الماهية الخلقية ، الا أنَّهم يستنفذون اقصى الطاقات الممنوحة للوصول

إلى تكاملهم الذاتي لما خلقوا من اجله ، و لعلمه تعالى بهم ، و بمن سواهم ، فإنَّه يباشرهم بالهداية ، و يختارهم على علم)) [٣٤].

و غير بعيد عن اجواء الاستخلاف أن يأتي الشيطان ليحاول الحد من حركة الانسان نحو الكمال، فقد ورد في الخطاب القرآني (٨٨ مرة) في صور تهيمن عليها العداوة للانسان، و العمل على تخويفه و ارباكه و تضييعه. يقول تعالى: ((الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء)) [٣٥]. و على الرغم من أن كلمة الشيطان ((تأخذ مدلولها الاصلي من المعنى الغيبي الذي يتمثل في شخصية ابليس الذي كان من الجن ففسق عن امر ربه)) [٣٦]، فان لها دلالات مأخوذة بآفاق ذاتية منها الفساد، و عدم الانتماء الى الوطن، و نهب الخيرات، و مصالحة المستعمر ، و المستعمر نفسه ٠٠٠، فقد ((انطلق المصطلح السياسي ليدفع بهذه الكلمة " الشيطان " الى قاموس الحركة الاسلامية السياسي، لتدخل في القضية الاستعمارية فتكون كل دولة مستعمرة شيطانا)) [٣٧].و اكبر من هذا أنه ((قد نستوحي من استخدام كلمة الشيطان في الوعي السياسي فيما هي حركة الشعار الرافض للقوى المستعمرة، و فيما هي حركة التحدي المضاد٠٠٠أن الموقف يأخذ معنى التمرد الديني على انحراف الواقع السياسي ليتجذر المعنى في منطقة الوعي، و يتعمق في مواقع الاحساس، بعيدا عن كل الحذلقات و المهاترات السياسية التي يمكن أن تأخذ لنفسها مكانا في الموقع الزمني هنا او هناك تبعا للظروف الطارئة التي تستعير الكلمات و توظف الاساليب، لتغيرها الى كلمات اخرى و اساليب اخرى في موقع زمني آخر٠٠٠بينما تمثل الكلمة الدينية حتى في الجانب السلبي معنى ثابتا في عمق الشخصية، تبعا لثبات الدين في الوعي الديني للانسان المؤمن)) [٣٨].و هكذا يكون للكلمة نسقها الخاص الواصل بين الشيطان الغيبي الذي لا يُتوقع نفعه و موقف الانسان منه، و الشيطان الارضي الذي يُتوقع نفعه، و لكن يُلاحظ اشتراك الطرفين في النتائج السلبية التي تقود الانسان الى الهاوية [٣٩] عاجلا ام آجلا. فتأتي ايحاءات التخلف و الجهل و الامية، مما يكون تمهيدا للثورة و التحرر، و تشخيصا لآفات الواقع و وضع المعالجات و الحلول التي تعود بهذا الواقع الى الارتقاء بالانسان و تبصيره طرق المصالحة مع الله، ثم التوق اليه. و ((هكذا تتحرك الكلمة القرآنية المنطلقة من عالم الغيب الى الواقع المتحرك في عالم الحس، لتسير بالانسان الى عالم واسع من الجهاد الاكبر، و الجهاد الاصغر٠٠٠من اجل اسقاط كل الشياطين في الطريق الصاعد ابدا نحو الله)) [٤٠]. و من ثم تظل بنا حاجة الى التفسير السياسي [٤١] للالفاظ القرآنية ليأخذ على عاتقه ردم الهوة بين المفاهيم القرآنية و سلطة العصر، وليقدم– وهي الاهم– سلاحا للمواجهة جديدا، يواجه به الانسان انحراف العصر و جبروت قواه الظالمة.

فيكون **المنهج الموضوعي** – قد تعامل مع السياق القرآني على نحو يصل التفسير بالاعجاز ويظهرهما على مظهر متصل إذ ((يركز نظره على موضوع من موضوعات الحياة العقائدية ، او الاجتماعية ، او الكونية و يستوعب ما أثارته تجارب الفكر الانساني حول ذلك الموضوع من مشاكل ، و ما قدمه الفكر الانساني من حلول ، و ما طرحه التطبيق التاريخي من اسئلة و من نقاط فراغ ، ... و يبدأ مع النص القرآني حوارا ...، المفسر يسأل والقرآن يجيب ...، و هو يستهدف من ذلك أن يكتشف موقف القرآن الكريم من الموضوع المطروح و النظرية التي بامكانه أن يستلهمها من النص ، من خلال مقارنة هذا النص بما استوعبه الباحث عن الموضوع من افكار و اتجاهات)) [٤٢] ، فيصل إلى أن يوحِّد بين **(التجربة البشرية) و (القرآن الكريم)** ، بمعنى أنَّه يوحِّد بينهما في سياق فكري واحد لكي يبعث على اثر هذا السياق و ظهوره مفهوما قرآنيا يحقق – بنسبة كبيرة – موقف الاسلام تجاه التجربة البشرية [٤٣] المنظور إليها نظرة قرآنية ينبغي أن تتخذ طابع النظر الآفاقي الانفسي المعرفي.

و ما يخلقه التفسير الموضوعي من توحيد بين **(التجربة البشرية) و (القرآن الكريم)** ينتهي بهما إلى نظرية قرآنية شمولية في الكون و الانسان يقابل و يعزز ما يخلقه الدين من توازن بين الامور المادية و الامور المعنوية [٤٤] ، إذ إنَّ الانسان و صدى التجربة البشرية يمثلان صورة المادة ، و يمثل القرآن الكريم و آفاق التصوير الكوني و المعرفي صورة الروح . و ليس يخفى أنَّ هذه الموازنة تنعكس

ايجابا على الحياة و الوجود ...؛ ذلك بأنَّها تضمن نهضة حضارية تنتقل بالمجتمع إلى مراحله المتقدمة [٤٥] كلها ، و بهذا نكون قد حققنا تماسكا اجتماعيا قرآنيا يسعى نحو مضامين الروح و متطلبات التغيير و آفاق الحضارة [٤٦] ، من خلال جذب **اطراف التفسير** إلى **آفاق الاعجاز و التخييل** و ما بينهما من **مرحلة الواقع** الطامح المتصالح مع التغيير الافضل .

و من هنا تنشأ فكرة الريادة التربوية التغييرية التي يؤطرها التفاؤل الآخذ إليه باسباب القوة و ادوات الاصلاح ، مع تقديم مسوغات هذا التفاؤل فكرا وعملا و الابقاء على هامش من الحذر و الاناة كبير. و مثل هذا ما نحتاجه في مشروعنا الثقافي النهضوي ؛ إذ يزرع فينا ((التفاؤل الحذر)) حالة من التفاؤل تقود-على نحو واع - إلى مجابهة تراكمات الاحباط التي يرزح تحت تخلفها المشروع النهضوي العربي بعامة و الثقافي منه بخاصة ، و علينا على عتبة العراق الجديد ان ننهل من ((التفاؤل الحذر)) فنربأ بأنفسنا عن مخاطر الاحباط، و نتمسك بضرورة تخطي المرحلة نحو صياغة المشروع المعرفي الكامل الذي يحتضن السياسة و قد أخذت اليها بأسباب قوية تربطها إلى مشروع الثقافة الناهضة؛ فتكون اقتربت من ممارسة الانتماء و تعرُّف النماذج الثابتة التي تحقق للبنية الاجتماعية تطلعاتها على نحو متعقّل ؛ فتقتنع مكونات المنظومة الاجتماعية بالنظرية السياسية و تمارس الحرص على ديمومتها و النهوض بها على نحو لا يقبل بالتفريط والافراط .

الهوامش :

[١] ينظر. المدرسة القرآنية- يحتوي على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم و بحوث في علوم القرآن و مقالات قرآنية، السيد محمد باقر الصدر ٢٣.
[٢] القرآن الكريم و القراءة العصرية ، مجلة قضايا اسلامية ع ٧ ، ١٩٩٩(كلمة التحرير). ص ١٦.
[٣] نفسه. ص ١٦-١٧.
[٤] نفسه. ص ١٦.
[٥] المدرسة القرآنية ٣٠.
[٦] ينظر.المدرسة القرآنية٣٠ ،القرآن الكريم والقراءة العصرية،مجلة قضايا اسلامية ع١٩٩٩،٧(كلمة التحرير).ص ١٨.
[٧] من المزايا المتعلقة بالاعجاز القرآني التي استقرت في الدراسات القرآنية مزية (الاعجاز في المجال) ، ويقصد به الشمول في عرض الحقائق القرآنية على نحو لا يستطيعه البشر. ينظر. في ظلال القرآن ، سيد قطب ١٧٨٨/٣، علوم القرآن ، د. عدنان زرزور ٣٠٣، البيان في اعجاز القرآن ، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي ٢٣١.
[٨] ينظر. المدرسة القرآنية ٢٩.
[٩] علوم القرآن ، السيد محمد باقر الحكيم ٣٧٢.
[١٠] المدرسة القرآنية ٣٥.
[١١] من وحي القرآن و ثلاثية الظهور و الرواية و العقل – حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ، حوار ابراهيم الموسوي ، قضايا اسلامية ، ع٧، ١٩٩٩. ص ٦٢.
[١٢] ينظر . لقرآن الكريم و القراءة العصرية ، مجلة قضايا اسلامية ع٧، ١٩٩٩(كلمة المحرر). ص٩.
[١٣] ينظر . الخطاب الديني – رؤية نقدية، د. نصر حامد ابو زيد١٥٢.
[١٤] مطارحات في قضايا قرآنية-دراسة في تفسير"من وحي القرآن" للسيد محمد حسين فضل الله ، محمد الحسيني ٩٤.
[١٥] المدرسة القرآنية ٣٠.
[١٦] ينظر . مطارحات في قضايا قرآنية ٩٤-٩٥.
[١٧] مطارحات في قضايا قرآنية١١٠.
[١٨] التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة ٤٥١/٢.
[١٩] ينظر . نفسه ٤٥٢/٢.
[٢٠] ينظر . تفصيل ذلك في : علوم القرآن ٣٧٣-٤٨٩.
[٢١] علوم القرآن ٣٧٢.
[٢٢] معالم في الطريق، سيد قطب ٤٥-٤٦.
[٢٣] نفسه ٤٩.

[٢٤] الزخرف/٤٦-٥٥.
[٢٥] الزخرف/٣١.
[٢٦] علوم القرآن ٤٢١-٤٢٢.
[٢٧] من وحي القرآن و ثلاثية الظهور و الرواية و العقل –حوار مع السيد محمد حسين فضل الله ، حوار: ابراهيم الموسوي ، قضايا اسلامية، ع٧، ١٩٩٩. ص ٦٤.
[٢٨] ينظر. مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ٢٤٣، مناهل الفرقان ، الزرقاني ١/٢٢١-٢٢٢.
[٢٩] ينظر. علوم القرآن ٤٥٨-٤٥٩.
[٣٠] ينظر . المدرسة القرآنية ١١٥-١٢٦، فقه التغيير بين سيد قطب و السد محمد باقر الصدر، كتاب المنهاج- الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات و خلود العطاء ٢٩٨-٢٩٩.
[٣١] استقر في الدراسات الاجتماعية أنَّ ((مما ينقص من طول ارتباط الفرد مع عالم الاشياء انتشار " النماذج المتغيرة ". صدمة المستقبل، الفين توفلر ، ترجمه و لخصه: عبد اللطيف الخياط ، دار الانوار ، بغداد ، دار الفكر ، دمشق . ص ١٧.
[٣٢] هكذا هي طريقة التعامل مع القرآن على ضوء التفسير الموضوعي . ينظر. المدرسة القرآنية ٣٥.
[٣٣] علوم القرآن ٤٨٩.
[٣٤] المختصر في دلائل قوله تعالى: ((و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة٠٠٠و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين)) ، عباس آل وهب الشمري ٥٨.
[٣٥] البقرة/٢٦٨.
[٣٦] المفردات القرآنية في الاعلام الاسلامي ، السيد محمد حسين فضل الله ، مجلة المنطلق، ع٤٩، ١٩٨٨، ص٥.
[٣٧] نفسه ١٠.
[٣٨] نفسه ١١-١٢.
[٣٩] ينظر . نفسه ١٥.
[٤٠] نفسه ١٣.
[٤١] ينظر . القرآن و العقلية العربية ، نعمة هادي الساعدي ٤١.
[٤٢] المدرسة القرآنية ٢٩.
[٤٣] ينظر. نفسه ٣٢.
[٤٤] يحرص الدين حرصا دائما على خلق موازنة بين ما يتصل بالمادة وما يتصل بالروح على مستوى الفكر والفعاليات الانسانية . ينظر. الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ٨٢.
[٤٥] إذا ما وازن الانسان موازنة منضبطة بين متطلبات المادة ومتطلبات الروح صار اقرب ما يكون إلى التطور . ينظر. علم الاجتماع الديني ، د. احسان محمد الحسن ٨٨.
[٤٦] على الرغم من أنَّ السيد الحكيم لم يتكلم على هذا غير إنَّ ذلك مما ينبغي التحدث فيه ، ولاسيما في هذاالسياق .

المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم .
- الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ، القاهرة ١٩٦٨.
- البيان في اعجاز القرآن ، د. صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار عمار ، الاردن ١٩٨٩.
- التفسير و المفسرون في ثقبه القشيب ، محمد هادي معرفة ، منشورات الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية ، ايران ١٩٩٨.
- الخطاب الديني-رؤية نقدية ، د.نصر حامد ابو زيد ، بيروت١٩٩٢.
- صدمة المستقبل، الفين توفلر ، ترجمه و لخصه: عبد اللطيف الخياط ، دار الانوار ، بغداد ، دار الفكر ، دمشق .
- علم الاجتماع الديني – دراسة تحليلية حول العلاقة المتفاعلة بين المؤسسة الدينية والمجتمع ، د. احسان محمد الحسن ، مطبعة الرسائل ، بغداد ٢٠٠٣.
- علوم القرآن ، د. عدنان زرزور ، المكتب الاسلامي.
- علوم القرآن ، محمد باقر الحكيم ، دار التعارف للمطبوعات ، ط ٣ ، بيروت – لبنان ١٩٩٥.
- فقه التغيير بين سيد قطب و السد محمد باقر الصدر، د. احمد راسم النفيس ،كتاب المنهاج- الامام الشهيد محمد باقر الصدر سمو الذات و خلود العطاء ، الغدير للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان.
- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط٣ ،١٩٧٧.

- القرآن الكريم و القراءة العصرية، كلمة التحرير ، مجلة قضايا اسلامية ، مؤسسة الرسول الاعظم ، ايران ، ع٧، ١٩٩٩.
- القرآن و العقلية العربية ، نعمة هادي الساعدي ، المؤسسة الاسلامية للبحوث و المعلومات ، ايران.
- مباحث في علوم القرآن ، د. صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط١٠، بيروت .
- المختصر في دلائل قوله تعالى: ((و اذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة٠٠٠و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى و استكبر و كان من الكافرين)) ، عباس آل وهب الشمري ، مؤسسة البلاغ للطباعة و النشر و التوزيع ، سوريا ٢٠٠٤.
- المدرسة القرآنية ــ ـ يحتوي على التفسير الموضوعي للقرآن الكريم و بحوث في علوم القرآن ومقالات قرآنية، السيد محمد باقر الصدر ، المؤتمر العالمي للامام الشهيد الصدر، ط٢ ، قم ، ١٤٢٤هـ .
- مطارحات في قضايا قرآنية- دراسة في تفسير "من وحي القرآن" للسيد محمد حسين فضل الله ، محمد الحسيني ،دار الملاك ،ط١ ، بيروت ٢٠٠٠.
- معالم في الطريق ، سيد قطب ، بيروت.
- المفردات القرآنية في الاعلام الاسلامي السياسي ، السيد محمد حسين فضل الله ، مجلة المنطلق ، الاتحاد اللبناني للطلبة المسلمين ، ع٤٩، ١٩٨٨.
- مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة البابي الحلبي ، ط ٢، القاهرة ١٣٦١هـ .
- من وحي القرآن و ثلاثية الظهور و الرواية و العقل-حوار مع السد محمد حسين فضل الله ، حوار: ابراهيم الموسوي ، مجلة قضايا اسلامية ، مؤسسة الرسول الاعظم ، ايران ، ع٧، ١٩٩٩.

Abstract

THE SEMANTIC OF THE QURAN TO OPEN

THE paper select approach mental dimension to the in themes Qurani moving in spite of this direction of the advantage to the dimension the changing and demands of the perfection.

Achieved too seek to union between practice people and Quran .